فنون مشهدية

مسرحيته «وحيدون» تستعيد الجذور العربية المنسيّة

وجدي معوض... عودة الابن الضال؟

باريس ــ ألمى أبو سمرة

أقضي يومياً ساعةً ونصف الساعة صباحاً ومثلها مساءً في الطريق إلى العمل ومنه، ساعاتٌ ثلاثٌ طويلةٌ لولا اللوحات الإعلانية التي تكسر رتابة الطريق وتتبدل بشكل دوري. رغم موقفي السلبي من المعلنين واستراتيجياتهم الملتوية في المجتمعات الاستهلاكية التي أضحيناها، إلا أنه علي أن أعترف كي أكون منصفة أنّ طريقي اليومية باتت فسحتي الخاصة للاطلاع على ما تستضيفه صالات العرض في باريس من فنون متنوعة. لقد أكسبت العاصمة الفرنسية بالفعل صالاتها قبساً من أنوارها التي لا تخبو على مدار العام. كذلك، كانت ترنو إليّ وتناديني أغلب العروض التي هُيئت لي الأسباب لحضورها منذ تشكّل وعيي لقيمتها، فتخرجُني بندائها من عزلتي الاختيارية ضمن أفكاري وموسيقاي المتنقلة على طول ساعات الطريق الثلاث، حتى بتُّ على يقين أنها هي من كان ينتقيني، لا العكس أبداً، لأسباب وإن جهلتُها آنياً، إلا أنه يعزّ عليّ أنْ أعزوها للصدفة والعبثية.

لم يكن العرض المسرحي الذي حضرته الأسبوع الفائت استثناءً. إذ اعترض طريق عودتي ليلاً اسم «وجدي معوض». ظننت لوهلة أني ما زلت تحت تأثير اللاوعي. إذ تناول مقالي الأخير عرضه المسرحي «الكل عصافير» («الأخبار» 2019/1/4 ـ «وجدي معوّض: «الكل عصافير»... فمَن هو «الخائن»؟) وهاجمتُ فيه وقوعه هو الآخر في فخ أنسنة العدو تحت شعار «الانفتاح على الآخر». أعود عشرين متراً إلى الوراء لأتحقّق.

لم أكن واهمة، إذ ها هو يعلن عن إعادة عرض عمله السابق «وحيدون» بعد عشرة أعوام من انطلاقته الأولى عام 2008. وحيداً على خشبة المسرح، سيشاركنا معوض على مدى ساعتين من الوقت فوضى جوارحه وأسئلته الصارخة ويجيب على بعضها في الآن عينه من خلال إضاءات على أحداث ووقائع مفصلية في حياته أثّرت به وجعلت منه ما هو عليه اليوم. يتنبّه جانب شخصيتي الشغوف بالبحث، وإن لم يكن قد تسنّى له أخذ قسط من الراحة عقب نهار عمل طويل، وتساورني رغبة في الغوص في خبايا شخصيةٍ كانت خياراتُها مرمى سهامي وموضوع كتابتي.

ما اسمُك؟ يجيب: اسمي حروان، لكن هذا ليس مهماً، إذ كان من الممكن أن أحملَ أي اسمٍ آخر..

حروان شابٌ ثلاثيني، على وشك تسليم أطروحة الدكتوراه في علم اجتماع المُتخيَّل في جامعة مونريال، باستثناء أنه لم يجد لها النتيجة والخاتمة المناسبتين. بعد الكثير من التنقلات، حطّ به رحال سؤال: «ماذا تريد أن تعمل في المستقبل؟» عند جواب: «مُدرس جامعي»، انتقل حديثاً إلى مسكن جديد. لم ينته بعد من إفراغ أغراضه الشخصية من الصناديق، ولا من طلاء الجدران، رغم إلحاح أخته «ليلى» عليه في هذا الخصوص في كل محادثة هاتفية له معها (تؤدي صوتها نايلة معوض، شقيقة وجدي معوض)، إضافة إلى إلحاحها الأشد أن يختار لوناً، أو ربما ألواناً عدة، لطلاء الجدران بدلاً من خياره التقليدي أن يكون لونها أبيض. كما لا يخفى صراع الأجيال في كل محادثة هاتفية له مع والده الذي لا ينفك يعامله كأنه ما زال طفلاً صغيراً.

على أنغام خليط موسيقي وثقافي، غربي وفيروزي في آن، وفي مزيج من عدم الاستقرار المكاني والعائلي والمهني هذا، وما ترافقه من قلقلات نفسية وخيبات عاطفية، يرده نبأ سفر «روبرت لوباج» الذي كان حروان ينوي إجراء لقاء معه لاستكمال ما ينقص أطروحته من معلومات. ليس أمام حروان سوى اللحاق به على وجه السرعة حيث ذهب إلى سان بطرسبورغ الروسية، فالوقت يداهمه. على وقع صراخ والده على الهاتف، يلغي زيارته الموعودة له في اليوم التالي، وينقطع الاتصال بينهما مع كلمات حروان الساخطة من اتهامات والده المتكررة بعدم احترام وعوده وخاصةً تجاه أسرته.

لدى حروان أيام معدودة ليرتب لسفره الخاطف إلى نصف الكرة الأرضية الآخر، يهيّئ كل شيء تباعاً من حجوزات الطائرة والفندق، إلى طلب تأشيرة الدخول اللازمة إلى روسيا، ولم يتبق له سوى انتقاء الصورة الشخصية المناسبة لإرفاقها بالطلب. لعل هذه المهمة هي الأصعب، إذ تتطلب منه البحث في ملفات صوره وما يرافق ذلك من ذكريات منسية قد تعود في قدمها إلى الطفولة المبكرة. أفضل طريقة للخروج من هذا المأزق هو الهروب، وكذلك فعل حروان. إذ خرج من هذه المتاهة لأخذ صورة شخصية جديدة في إحدى الحجرات الآلية المخصصة لهذه الغاية والمنتشرة على امتداد المدينة. قد تبدو العملية بسيطة ما خلا ضرورة الاستماع إلى التعليمات الصوتية المرافقة والإذعان لها بكليتها للحصول على صورة مطابقة للمواصفات. وفي لحظة التقاط الصورة، وما يسبقه من إنذار صوتي، يرن هاتف حروان: إنها الشرطة تبلغه أن والده تعرض لجلطة دماغية، وهو الآن في العناية المركزة.

> عناية دقيقة بالمؤثرات والمقاطع السمعية والبصرية عزّزت الأداء والنصّ

يقضي حروان الليلة الأخيرة قبل سفره بجوار سرير والده ملبياً طلب الطبيب بملازمته والتحدث إليه بلغته الأم، علّ ذلك يساعده على الخروج من غيبوبته. لكن أي لغة تلك التي أفقدته إياها الأيام؟ لغة وإن كان لا يزال قادراً على فهم بعض مفرداتها البسيطة المحكية مما واظب والده على تكراره طيلة السنوات الفائتة، إلا أنه عاجز تماماً عن النطق بها، تماماً كعجزه في طفولته المبكرة عن النطق بكلماته الأولى، حتى استشار والداه طبيباً لشدة قلقهما. يومها كان ردّ الطبيب أن طفلكما لا يتكلم لأنه ليس لديه ما يقوله.

ينطلق حروان في الليلة التالية في سفره المقرر إلى سان بطرسبورغ. وحين وصوله إلى الفندق، يصله اتصال يعلمه أن «روبرت لوباج» اضطر لمغادرة روسيا على وجه السرعة واتجه عائداً إلى الولايات المتحدة ثم كندا. يكتشف حروان أيضاً أن الحقيبة التي حملها معه من المطار ليست خاصته، كأن الأقدار لم تسأم من معاكسته. يرده اتصال من أخته ووالده يخبرانه فيه أنّ الأخير تعرض لحادث أثناء وجوده في جهاز التصوير الآلي، وأنه في العناية المشددة. وقد طلب الطبيب منهما الجلوس بجواره والاستمرار بالتحدث إليه بلغته الأم ليساعدوه على الخروج من غيبوبته. يفتح حروان الحقيبة التي هي كل ما بحوزته، فإذا بها ممتلئة بعلب الألوان وطلاء الجدران. وعلى مدى عشرين دقيقة متواصلة، يملأ حروان كل شبر من جسمه ومن خشبة المسرح وجدرانه الثلاثة بكل الألوان في مشهد سوريالي تتخبط فيه الجوارح والحواس تحت وطأة الذاكرة، إلى أن انتهى به المشهد مستلقياً على ظهره على الأرض، يعد النجوم والشهب في السماء، بالفرنسية أولاً ثم بالعربية. نعم، لقد تذكر.

ليلة واحدة تعود بنا عُمراً كاملاً إلى الوراء بعد نفض الغبار عن الذاكرة وإزالة ما علق منه في أخاديد اللاوعي. تظهر اللغة المنسية منذ زمن بعدما دُفنت تحت طبقات وطبقات من التراب. تلك اللغة التي تنحت تاركةً مكانها شاغراً لتحل فيه وتملأه اللغات المكتسبة في مراحل لاحقة من الحياة، كما تظهر العوالم المنسية رغم دورها في تكوين الشخصية والهوية: الأصول من بلدة دير القمر الشوفية، الطفولة المبكرة في بلد يقف على مشارف حرب أهلية مدمرة، النشأة والثقافة الفرنكوفونية التي رَبَت بعد هروب العائلة من الحرب المستعرة إلى أن انتهى بها المطاف في مقاطعة كيبيك الكندية. عبر الإمساك بهذه الخيوط مجتمعة، تمكّن وجدي معوض من استحضار الطفل الذي كانه والذي رحل آخذاً معه كل ما يفتقده اليوم. هذا الطفل الذي كان عالمه السماء بما فيها من نجوم وشهب شغل لياليه بعَدّها. رحل بعدما سقط أحد هذه الشهب في حديقة منزلهم في جبل لبنان، وبدل أن يحمل معه أمنية محققة، أخذ معه والدته وذهب.

رغم أن العمل كان قائماً على شخصية واحدة يؤدّيها ممثل واحد، إلا أن العرض ارتكز في الآن عينه إلى عناصر حيوية عدة لا يكتمل إلا باكتمالها. الظلال والأنوار، المؤثرات والمقاطع السمعية والبصرية، الأجواء وحيدة اللون ثم متعددة الألوان، هذه العناصر المخرَجة بدقة وعناية الحرفيين تخطت كونها مدعمات إضافية كما هي الحال في العروض المسرحية التقليدية، لتكافئ هنا بأهميتها الركيزتين الأساسيتين في أي عمل مسرحي، وهما الممثل والنص وما بينهما من علاقة، وتتغلغل بعمق في هيكليتهما لتشكل عالماً قائماً بذاته يتماهى فيه الخيال مع الحقيقة والحاضر مع الماضي. قد يكون هذا التماهي نابعاً من حاجة صارخة لسد ثغرات الذاكرة ورأب صدوع النفس وبلسمة جراح الروح، وقبل كل هذا، إيجاد الهوية المفقودة. في حوار صحافي أُجري معه عند إطلاق هذا العمل للمرة الأولى، سئل معوض كيف تتولد لديه الرغبة بتناول موضوع ما في أعماله المسرحية. كانت إجابته بأن الرغبة لا تتولد، بل هي موجودة فينا، وما علينا سوى الاستجابة لنداءات الموضوعات التي تنتقينا.

هنالك في الطب النفسي ما يسمى «العلاج بالمسرح» انطلاقاً من مبدأ أننا لن نرى مشاكلنا وبالتالي لن نتمكن من حلها إن بقينا حبائسها. ربما اختار معوض المتأثر بتحفة رامبرانت «عودة الابن الضال» أن ينفصل عن واقعه من خلال هذا العمل ويتقمّص دور المراقب من مسافة ليتمكن من مواجهة ذاته. لكلٍ حيلته للعيش، وتلك كانت حيلة وجدي معوض.

وجدي معوض في «وحيدون»

حقّ الرد

«دار النمر»: مساحة للنقاش

تعقيباً على خبر ««دار النمر» تلتحق بالـ«ثورة» السورية؟» (الأخبار 2019/1/31)، جاءنا ردّ من عمر ذوابه مسؤول «التواصل والمحتوى» في «دار النمر»، ننشره كاملاً مع تعقيب التحرير:

«لقد أسفنا لقراءة خبر «دار النمر» تلتحق بالـ«ثورة» السورية؟ من مساءلة لصواب توجهات الدار السياسية. ولأن جريدة «الأخبار» شريك إعلامي لـ«دار النمر» منذ انطلاقتها، اقتضى توضيح الآتي:

أولاً: لا يندرج عرض فيلم «محاصر مثلي» (للمخرجة السورية هالة العبدالله) كمساندة لطرف من دون آخر ضمن الشأن السوري، فالدار تستضيف هذه الفعالية التي ينظمها «نادي لكل الناس» ولم تسهم في إنتاج العمل.

ثانياً: إن عرض الفيلم هو تأكيد على أحد أهم أهداف الدار الرامية الى توفير مساحة للنقاش والنقد حول الفن والثقافة، مشددين على أن الفيلم يتناول شخصية فاروق مردم بك المثقف السوري الذي عمل سفيراً للثقافة العربية في فرنسا وأوروبا قبل اندلاع الحرب في سوريا بعقود.

ثالثاً: إن «محاصر مثلي» ليس أول فيلم يتناول الشأن السوري يتم عرضه في الدار، فقد سبق أن عرضنا فيلمَي «بين الحروب» و«عازف بيانو اليرموك»، وكلا الفيلمين يحمل توجهاً سياسياً مختلفاً، إلا أن الدار وفرت المساحة الكافية لاحتواء حوار بناء وناقد يجمع كل الأطراف.

بناءً على ذلك، نؤكد على دور «دار النمر كمساحة للفن والثقافة» من فلسطين وكل العالم، تحتوي النقاش البنّاء وتحرص على توفير مسافة نقدية كافية، من دون وصم أو تشكيك في نهجها. إضافة إلى ذلك، فإننا نفخر بالشراكة التي تجمعنا بجريدة «الأخبار» وقسمها الثقافي الذي يتابع أنشطة الدار بتغطية وتحليل ونقد بناء».

من فيلم جود سعيد «رجل وثلاثة ايام»

ردّ على الرد

باسم فلسطين: السذاجة ممنوعة!

لسنا بحاجة الى أي شرح عن «دار النمر» ورسالتها ومبادئها وقواعدها الديموقراطيّة. إذ نكاد نكون من «مؤسّسي» هذا المركز الثقافي الفريد في بيروت، بالمعنى الرمزي والمجازي طبعاً. لقد رافقنا التجربة إعلاميّاً، ودعمناها وندعمها، ولا فضل لنا في ذلك. لكن، إذا كانت مهمّتنا هي مواكبة هذه المؤسسة ودعمها والدفاع عنها، فإن من صلب عملنا مساءلتها ومحاسبتها. إن طريقة تقديم «دار النمر» لفيلم هالة العبدالله، هي التي أثارت حفيظة كثيرين في لبنان وخارجه. هناك تبنّ كامل لأطروحة أيديولوجيّة أثبتت الأحداث خواءها وعدم انطباقها على الواقع. لا نسمح لنفسنا بإعطاء دروس، ولا نضع علامات في الوطنيّة لأحد، ولا ندافع عن نظام سياسي معيّن: نحن مجرّد شهود. ومن حق «دار النمر» وواجبها أن تنفتح على كل الإبداع، وأن تعتمد قواعد الديموقراطية وأخلاقياتها، وتستضيف من تشاء. لكن حين يتعلق الأمر بالقضية المركزيّة، نظن أن السذاجة ممنوعة، والحياد مستحيل! الصادم هو ـ كما ورد في إشارة «الأخبار» ـ انعدام أي مسافة نقدية في البيان الذي قدّم الحدث. إن برمجة فيلم بروباغندا من دون وضعه في إطاره الصحيح، في هذه اللحظة التي تضرب إسرائيل كل يوم سوريا، سيفهمه الجمهور موقفاً سياسياً من قبل الدار.

لا نتمنى لهذا المركز أن يصبح «لوكندة» لهذه الأجندة أو تلك، وأن يروح يقدّم أي شيء، في أي وقت، من دون رؤية كاملة وخطة شاملة. غداً يأتي «نادي لكل الناس» أو غيره، ويقترح عليكم برمجة فيلم زياد دويري «الإسرائيلي»، ثم فيلمه التالي الذي يحقّر القضية الفلسطينية ويمجّد بشير الجميل، ويعيد إحياء الأطروحة الانعزالية للحرب الأهليّة اللبنانيّة («الفلسطيني كان يريد تصفية المسيحيين»!). ويقترح عليكم تنظيم ندوة بعد العرضين مع دويري ومنتجه وراعيه أنطون صحناوي (ما غيره!). هل ستقبلون أوتوماتيكيّاً، باسم الديموقراطية، وتعدد وجهات النظر؟

هذا المكان غالٍ وغزيز علينا، وحتى الآن نعتبره محجة للفن والثقافة والإبداع، ومعقلاً للفكر الوطني التنويري المنفتح، بوصلته فلسطين. ومن حقنا أن نخاف عليه. لا نقلل من قيمة «بطل» الفيلم ولا صانعته. ولا ندعو إلى منع أي فيلم، فالرقابة ألدّ أعدائنا. إنما نلفت إلى الفخ السياسي الذي وقعت فيه «الدار»، بتبنّي خطاب «ثوري» ساذج، لا يصلح إلا للاستهلاك في «جمهورية باريس الفاضلة». باريس التي سحبت ـ بكل ديموقراطيّة ـ فيلم جود سعيد من مهرجان السينما في «معهد العالم العربي» بعدما أقرّت مشاركته («الأخبار»، أول يوليو 2018)، بتحريض من «ضيفتكم الثورية» إيّاها وطغمتها. هل فكرتم بعرض هذا الفيلم وعنوانه «رجل وثلاثة أيام»» في «دار النمر»؟

إسمحوا لنا بأن نصرّ على موقفنا النقدي والغاضب، فالعتب على قدر المحبّة: لقد تبنّت «دار النمر» في طريقة تقديمها للفيلم خطاباً أجوفَ، يسهم في تمويه حقيقة الصراع في المنطقة في مواجهة الغرب ومحميّته الاستعماريّة («إسرائيل»)، وأدواته (الرجعيّات العربيّة والإسلامويّة) والطاعون التكفيري الرابض. كان ينبغي وضع فيلم هالة العبدالله في سياقه السياسي والأيديولوجي، احتراماً للجمهور والديموقراطية، ودعوة من يستطيع أن يناقشه بطريقة نقدية، (أو عرضه مثلاً في سياق مجموعة من الأفلام السورية ضمن برمجة متكاملة، واضحة، متوازنة). لاستدراك هذا الفخ، كانت لتكفي عبارة بسيطة في إعلانكم عن عرض الفيلم، تشير إلى «يوتوبيا الثورة» التي لا تتطابق بالضرورة مع جوهر الصراع في المنطقة... هذا باسم فلسطين، بوصلتنا في هذا الليل العظيم، وقضيتنا المركزيّة المشتركة، وبالإذن من راعي «الربيع العربي» المسروق، أي الغرب «الديموقراطي» الذي يمعن في محو فلسطين من الخريطة، ويشهد بالزور على المجازر المتواصلة بحق شعبها منذ سبعين عاماً.

* «التحرير»

جائزة

تصميم علي بسام

«نواة» تستنهض همم الشباب: بيئتنا مسؤوليتنا!

خديجة شكر

«الإنسان والبيئة» تحت هذا العنوان أطلقت جمعية «نواة» أول من أمس فعاليات «جائزة نواة 2019» برعاية وحضور نائب رئيس مجلس النواب الأستاذ إيلي الفرزلي وبمشاركة عدد من الشخصيات السياسية والإعلامية والفاعليات المدنية والحزبية في قاعة فندق «كمبينسكي» في بيروت. هذا العام، ارتأت الجمعية أن تصبّ اهتمامها على الموضوع البيئي، بدءاً من مخاطر التدهور في المؤشّرات البيئية، مروراً بالتحدّيات الكبيرة التي تواجه البيئة في مختلف أنحاء العالم، خصوصاً في لبنان، وصولاً إلى الآثار السلبية التي يتركها التلوث البيئي على الحركة السياحية.

استهلّ الاحتفال بفيديو استعرض الحفلات الختامية السابقة لجائزة «نواة»، مبرزاً تطور عدد المشاركين خلال السنوات الستّ السابقة. بعد ذلك، تحدث رئيس الجمعية المهندس محمد خفاجة عن رغبة «نواة» المتجدّدة في تسليط الضوء على الطاقات الشبابية، وابتكاراتها التكنولوجية، والعلمية، والأدبية، والفنية.

بعدها، جاءت كلمة لراعي الاحتفال الذي أكّد ضرورة إيلاء ملف البيئة الاهتمام المطلوب، فيما أكد النائب علي فياض أهمية محور جائزة «نواة» لهذا العام في ظلّ الوضع البيئي الراهن.

من جهته، ألقى رئيس التجمّع البيئي في لبنان مالك غندور كلمة قال فيها إنّ مسألة البيئة لم تحظَ في لبنان حتى الآن بالاهتمام المناسب، مع تفاوت الاهتمام بين القطاعين الخاص والعام. وتوقف عند بعض المبادرات الإيجابية التي قامت بها الدولة اللبنانية من أجل حماية البيئة، إلا أن هذه المساهمات ظلّت شكلية ولم تحقّق الأهداف المرجوّة. بدوره، أشاد بيار أبي صعب بدور جمعية «نواة» على الصعيدين الفني والثقافي. في حديث مع «الأخبار»، قال مدير العلاقات الإعلامية والترويج في الجمعية محمد فحص، إنّ تسليط الضوء على موضوع البيئة جاء رغبة من الجمعية بتوجيه طاقات الشباب للمساهمة في إيجاد حلول للمشاكل البيئية الراهنة. كما كشف فحص عن الآلية الجديدة التي سيتم اتّباعها هذا العام للاشتراك في الجائزة، وكذلك للتحكيم. إذ أنّ الجمعية ستفتح باب التسجيل أمام من يودّ المشاركة عبر موقعها الإلكتروني بدءاً من منتصف شباط (فبراير) الحالي حتى آخر حزيران (يونيو) المقبل. كما أنّ التحكيم هذا العام سيكون مُمَكنناً، مما سيعزّز الموضوعية والمهنية المطلوبة في عملية التحكيم. على أن يقام في تموز (يوليو) المقبل، الاحتفال الختامي حيث سيتم توزيع الجوائز على المشاريع الرابحة.

> تسليط الضوء على الطاقات الشبابية وابتكاراتها التكنولوجية والعلمية والأدبية والفنية

يذكر أنّ «نواة» تسعى إلى فتح علاقات جديدة مع مهرجانات مماثلة تقدم للشباب اللبناني تجارب جديدة ومتنوعة وتسهم في تعريفهم على ثقافات جديدة في هذا المجال. والجائزة ـ كما أشار فحص ـ هي فرصة لمشاركة كل من يسعى لأن يكون له بصمة في أيٍّ من المجالات المتاحة، وهي تشكّل «محاولة منّا لوضع المبدعين على السكة المناسبة، علّنا نصل وإياهم إلى المستوى المطلوب في تقديم نموذج عن قدرات وتطلعات وإبداع الشباب اللبناني». وختم فحص بالقول إنّ جائزة «نواة» تحمل في طياتها الكثير هذا العام، ستشكّل إضافةً متميزةً في الملف البيئي، ومقاومة من نوع آخر تضاف إلى عنوانها الأساسي.

http://nouwat.org